المراقبة في القرآن الكريم
وأثرها في بناء المجتمع وتحصينه

إعداد: د. محمد عبد الله الوائلي
مراجع مصاحف معتمد بوزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
مملكة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن "مراقبة الله -تعالى- في السر والعلن أساس متين لحفظ المجتمع، وذلك بإحساس المسلم بأن الله -تعالى- يعلم غيب السموات والأرض، ويبصر كل ما يفعله، وبهذا تستقيم المجتمعات، ويأمن الأفراد على أرواحهم، وأعراضهم، وأموالهم، وهذا أجدى من وضع أجهزة للمراقبة وإشعار المراقبين بها؛ للحد من تجاوزاتهم، فسرعان ما يُكتشف ما يبطل عملها؛ لأنها مهما بلغت من الدقة فهي من صنع إنسان"[1].

والمتأمل لآيات الذكر الحكيم يجد الحث على تعميق مراقبة الله -جل وعلا- عند أغلب التشريعات والأحكام، فقال ﷻ عن الحج: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ٣٨٦/٧.

وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾} [البقرة]. وقال: { فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ } [البقرة].

وفي الصلاة: {وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾} [الأنعام].

وفي العدل: {ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾} [المائدة].

وفي صلة الأرحام: { وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

وفي الطلاق: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ } [الطلاق: ١].

واختتمت آية الدين بالمراقبة: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ}[البقرة].

وفي إصلاح ذات البين: { فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ }[الأنفال: ١].

وفي مال اليتيم أوكل ﷻ أولياء اليتامى إلى المراقبة، فقال: {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ } [النساء].

وأرشد أيضًا إلى تعميق المراقبة عند اجتناب المهددات التي تؤدي إلى تقويض بناء المجتمع واستقراره، فقال عن الربا: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ }[البقرة]، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ } [آل عمران].

وقال عن التعاون في الإثم والعدوان: {وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ} [المائدة: ١].

وعن الظن والتجسس والغيبة: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ} [الحجرات: ١٢].

كما نجد أن السور المدنية – التي يعد من أهم خصائصها بناء المجتمع وتحصينه– جعلت أهم أساس لبناء المجتمع مراقبة الله –تعالى، فأغلب السور المدنية افتتحت واختتمت بالمراقبة، فمثلًا أول سورة النساء: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١ }، وختامها: {وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ۝٧٦ }.

وأول سورة الحجرات: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١}، وختامها:{إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨}، وغير ذلك من السور.

فمراقبة الله –تعالى– هي أساس فلاح المجتمع، وسبب تفريج الكرب، والخلاص من المضايق، والتوسعة في الرزق، كما قال –تعالى: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [البقرة: ١٨٩، آل عمران: ١٣٠، ٢٠٠]، وقال: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ } [الطلاق].

فجاء الإسلام ليزرع في نفوس أتباعه رقابة ذاتية، وضميرًا يقظًا؛ ليصلوا بذلك إلى بناء مجتمع يسوده الأمن والاستقرار، ويكونوا برعاية إلهية ربانية: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨ } [النحل].

إن هذا البحث يسعى إلى دور مراقبة الله –تعالى– في بناء المجتمع وتحصينه من خلال القرآن الكريم.

أهداف البحث:

١– معرفة الهدي القرآن في بناء المجتمع وتحصينه واستقراره.

٢– بيان أهمية المراقبة وأثرها في بناء المجتمع وتحصينه.

٣- الكشف عن الثمار المتوخاة من مراقبة الله -تعالى- في المجتمع.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يهتم بالربط بين المراقبة، ودورها في بناء المجتمع، وتحصينه، والمحافظة على أمنه واستقراره، كل هذا في ضوء آيات القرآن الكريم.

٢- وتكمن أهميته أيضًا في كونه يدرس موضوعًا هو أساس فلاح المجتمع، وسبب تفريج الكرب، والخلاص من المضايق والقلق والخوف، {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢} [الطلاق].

٣- توجهت كثير من الوزارات، والهيئات الحكومية، والشركات، والمؤسسات، وغيرها في العالم العربي والغربي إلى تطبيق سياسة العمل من المنزل في الوقت الحاضر بسبب تفشي (فيروس كورونا)، وهو مما قد يؤدي إلى غياب أجهزة المراقبة وإشعار المراقبين بها في بعض الوظائف، لذلك أرشدنا القرآن الكريم إلى تعميق الرقابة الذاتية ووازع الضمير في النفوس؛ لتودى الأعمال بأمانة وإخلاص.

٤- لم أجد – حسب علمي – من درس دور المراقبة في بناء المجتمع وتحصينه في بحث قائم بذاته، وهو ما حاولت الاجتهاد في الوصول إليه.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج المعتبر في البحث العلمي، فاعتمدت منهجين:

الأول: المنهج الاستقرائي، فقمت بتتبع آيات المراقبة في القرآن الكريم التي لها الأثر في بناء المجتمع وتحصينه.

الثاني: المنهج التحليلي لآيات المراقبة وأثرها في بناء المجتمع وتحصينه واستقراره.

خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المراقبة ومرادفاتها وأهميتها على الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني: المراقبة وأثرها في بناء المجتمع.

المبحث الثالث: المراقبة وأثرها في تحصين المجتمع.

المبحث الرابع: ثمرة مراقبة الله –تعالى.

الخاتمة: نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

هذا، وأسأل الله –تعالى– التوفيق لقبول العمل، ولما فيه مرضاته –سبحانه، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم المراقبة ومرادفاتها وأهميتها على الفرد والمجتمع

أولًا: مفهوم المراقبة:

المراقبة لغة:

المراقبة مأخوذة من مصدر: (رَقَبَ)، فالراء، والقاف، والباء أصل واحد مطَّرد، يدل على انتصاب لمراعاة شيء، من ذلك (الرقيب)، وهو (الحافظ). يقال: منه رقَبتُ أرقَبُ رِقبة ورِقبانًا. ورَقَبَ الشيء يرقُبُه، وراقبه مُراقبة ورِقابًا: حَرَسَه. و(راقب الله – تعالى). أي: خافه. و(المَرْقَب): المكان العالي يقف عليه الناظر. و(الرقيب): السهم الثالث من السبعة التي لها أنصِباء، كأنه يرقب متى يخرج. و(الرَّقُوب): المرأة التي لا يعيش لها ولد، كأنها ترقبه لعله يبقى لها. ويقال: أرقبت فلانًا هذه الدار، وذلك أن تعطيه إياها يسكنها، كالعمرى، ثم يقول له: إن متَّ قبلي رجعت إلي، وإن متُّ قبلك فهي لك، فهي من (المراقبة)؛ لأن كل واحد منهما يرقب موت صاحبه(١).

وفي لسان العرب: "(رَقَبَ): في أسماء الله –تعالى: (الرقيب)، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيل بمعنى: فاعل. وفي الحديث: «**ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهل بَيْتِهِ**»(٢). أي: احفظوه فيهم. وفي الحديث: «**مَا مِن نَبيٍّ إِلّا أُعْطِيَ سبعةَ نُجَباءَ رُقَباءَ**»(٣). أي: حفظة يكونون معه. والرقيب: الحفيظ. ورَقَبَه يرقُبُه رِقبة ورِقبانًا، بالكسر فيهما، ورُقوبًا، وترقَّبَه وارتقبه: انتظره ورصده. و(الترقب): الانتظار، وكذلك

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤٢٧ (رقب)، مختار الصحاح: ص١٢٦ (رقب).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٢٠/٥ رقم (٣٧١٣)، ٢٦/٥ رقم (٣٧٥١)، عن ابن عمر عن أبي بكر ﷺ قال: «**ارْقُبُوا مُحَمَّداً ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ**».

(٣) رواه الترمذي في سننه: ٦٦٢/٥ رقم (٣٧٨٥) بلفظ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ رُفَقَاءَ أَوْ رُقَبَاءَ، وَأُعْطِيتُ أَنَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ**»، قُلْنَا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ، «**أَنَا، وَابْنَايَ، وَجَعْفَرُ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَبِلَالٌ، وَسَلْمَانُ، وَعَمَّارٌ، وَالْمِقْدَادُ، وَحُذَيْفَةُ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ**». قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ عَنْ عَلِيٍّ مَوْقُوفًا".

(الارتقاب). وقوله –تعالى: {وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾} [طه] معناه: لم تنتظر قولي. و(الترقب): تنَظُّر وتوقع شيء..."[١]. ومنه قوله –تعالى: {وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم رَّقِيبٌ ﴿٩٣﴾} [هود].

المراقبة اصطلاحًا:

ذكر الإمام المحاسبي بأن أول المراقبة: علم القلب بقرب الرّبّ ﷻ، وذكر بأن المراقبة في نفسها التي يستحق صاحبها أن يسمى مراقبًا هي: دوام علم القلب بعلم الله ﷻ في سكونك وحركتك، علمًا لازمًا للقلب، بصفاء اليقين[٢].

ولقد توسع الإمام أبو حامد الغزالي في وصف حقيقة المراقبة، فقال: "اعلم أن حقيقة المراقبة: هي ملاحظة الرقيب، وانصراف الهم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقب فلانًا ويراعي جانبه، ويعنى بهذه المراقبة: حالةٌ للقلب يُثْمِرُهَا نوع من المعرفة، وَتُثْمِرُ تلك الحالة أعمالًا في الجوارح وفي القلب؛ أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب، واشتغاله به، والتفاته إليه، وملاحظته إياه، وانصرافه إليه. وأما المعرفة التي تُثْمِر هذه الحالة فهي العلم بأن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف، كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف، بل أشد من ذلك..."[٣].

وقال الإمام بن القيم: "المراقبة تعريفها: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق –سبحانه وتعالى– على ظاهره وباطنه. فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله –سبحانه– رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله. وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين. والغافل عن هذا بمعزِل عن حال أهل البِدايات. فكيف بحال المُريدين؟ فكيف بحال العارفين؟"[٤].

---

(١) لسان العرب: ٤٢٤/١ (رقب).

(٢) ينظر: الوصايا للمحاسبي: ص٣١٣.

(٣) إحياء علوم الدين: ٣٩٨/٤.

(٤) مدارج السالكين: ٦٥/٢.

وقيل: المراقبة: مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة[١].

ويمكن أن يلخص تعريف المراقبة بما فسره الإمام بن المبارك؛ فقد روي عنه أنه قال لرجل: راقب الله –تعالى. فسأله عن تفسيره، فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله ﷻ[٢]. وهذا هو تعريف الإحسان كما ورد في حديث جبريل الآتي ذكره.

ثانيًا: مرادفات المراقبة:

إن لفظ مراقبة الله –تعالى– يدخل في معاني: الإحسان، والتقوى، والخشية، والخوف.

وكذلك فإن التعبد بمقتضى أسماء الله الحسنى وصفاته العلى: (الرقيب، الحفيظ، الحسيب، العليم، السميع، البصير، الشهيد)، يعمق معنى مراقبة الله –تعالى، وإليك بيان ذلك:

–**الإحسان:** معناه المراقبة، فهو لُبُّها، ففي حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبيَّ ﷺ عن الإحسان، فسره ﷺ بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[٣].

يقول الإمام النووي معلقًا على حديث جبريل عليه السلام: "فمقصود الكلام: الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبةِ العبد ربه –تبارك وتعالى– في إتمام الخشوع والخضوع، وغير ذلك"[٤].

ويقول ابن منظور: "وقيل: أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب الله أحسن عمله، وقد أشار إليه في الحديث بقوله: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»"[٥].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: ٣٩٧/٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٣٩٧/٤.

(٣) صحيح البخاري: ١٩/١ رقم (٥٠)، صحيح مسلم: ٣٦/١ رقم (١).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي: ١٥٨/١.

(٥) لسان العرب: ١١٧/١٣ (حسن).

- **التقوى:** خلاصة معناها: مراقبة الله -تعالى- والخوف منه، يقول -تعالى: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣} [البقرة]، يقول الإمام بن عاشور: "وقوله: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} تذييل للتخويف، والحثِّ على مراقبة ما شرع الله"(١).

وفي قوله: {بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦} [آل عمران]، يقول الإمام الطبري: "{وَٱتَّقَىٰ}، يقول: واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التي حرمها عليه، فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله، وخوف عقابه، {فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦}، يعني: فإن الله يحب الذين يتقونه، فيخافون عقابه، ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه، وحرمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به"(٢).

ويقول الإمام الطبري في قوله: {وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ} [الأعراف: ١٢٨]: "يقول: والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه، فخافه باجتناب معاصيه وأداء فرائضه"(٣).

ويقول الإمام الواحدي: "وقوله -تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧} [التوبة]، يعني: من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده"(٤).

- **الخشية:** "وسئل بعضهم عن قوله -تعالى: {رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨} [البينة]، فقال: معناه: ذلك لمن راقب ربه ﷻ، وحاسب نفسه، وتزود لمعاده"(٥).

وقال -تعالى: {ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ} [الأحزاب: ٣٩].

وقال -تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢} [الملك].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢/٤٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ٥/٥١٤-٥١٥.

(٣) المصدر السابق: ١٠/٣٧١. وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤/٢٥٠١.

(٤) التفسير البسيط: ١٠/٣٠٣.

(٥) إحياء علوم الدين: ٤/٣٩٧.

يقول الشيخ عطية محمد سالم: "وفي هذه الآية السر الأعظم، وهو كون الخشية في الغيبة عن الناس، وهذا أعلى مراتب المراقبة لله، والخشية أشد الخوف"(١).

- **الخوف:** من معانيها المراقبة، قال -تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠} [النازعات]، يقول الإمام القشيري معلقًا على الآية: "وهذا عين المراقبة"(٢). ويقول أيضًا معلقًا على قوله: {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤} [العلق]: "والتخويف برؤية الله تنبيه على المراقبة"(٣).

اسم الله (الرقيب): قال -تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١} [النساء]، يقول الإمام الواحدي: "أي: حافظًا، يرقب عليكم أعمالكم، فاتَّقوه فيما أمركم به ونهاكم عنه"(٤).

اسم الله (الحفيظ): قال -تعالى: {ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} [الشورى: ٦]، أي: "رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها"(٥). فيكثر أن يُستعمل الحفيظ كناية عن مراقبة أحوال المرقوب وأعماله(٦).

وقوله -تعالى: {وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [الأنعام: ١٠٧]. أي: رقيبًا(٧).

ويقول الإمام بن عاشور في قوله -تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠} [الانفطار]: "فأما الحفظ: فهو هنا بمعنى: الرعاية والمراقبة، وهو بهذا المعنى يتعدى إلى المعمول

---

(١) تتمة أضواء البيان: ٥٥/٩.

(٢) تفسير القشيري: ٦٨٥/٣.

(٣) المصدر السابق: ٧٤٨/٣.

(٤) الوجيز للواحدي: ص٢٥١. وينظر: تفسير ابن كثير: ٢٠٦/٢، تفسير الرازي: ٤٨٢/٩.

(٥) تفسير البيضاوي: ٧٧/٥، تفسير أبي السعود: ٢٢/٨، تفسير الألوسي: ١٤/١٣. وينظر: أضواء البيان: ٤٤/٧.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢/٢٥.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل: ٥٨٣/١، تفسير الثعلبي: ١٧٧/٤، التفسير البسيط للواحدي: ٣٤٥/٨، تفسير البغوي: ١٧٦/٣، تفسير البيضاوي: ١٧٧/٢.

بحرف الجر، وهو (على)؛ لتضمنه معنى المراقبة. والحفيظ: الرقيب، قال -تعالى: {ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} [الشورى: ٦]"[١].

اسم الله (الحسيب): قال -تعالى: {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦} [النساء]، يقول الإمام بن عاشور: "وجاء قوله: {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦} تذييلًا لهذه الأحكام كلها؛ لأنها وصيَّات وتحريضات، فوكل الأمر فيها إلى مراقبة الله -تعالى. والحسيب: المحاسب"[٢]. وفي تتمة أضواء البيان: "وفي الختام ينبه الله فيهم وازع مراقبة الله بقوله: {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦}"[٣].

اسم الله (العليم)، و(السميع)، و(البصير)، و(الشهيد): إذا ذكرت أسماء الله -تعالى- (العليم والسميع والبصير والشهيد والرقيب والحفيظ والحسيب) فإنها ترشد وتدعوا إلى مراقبة الله -تعالى، أي: كونوا مراقبين لله -تعالى- على الدوام؛ لأنه عليم بخفيات الصدور، ففيها الإنذار والتذكير بأن الله لا يخفى عليه شيء، {إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨} [الحجرات].

فكثيرًا ما يعقب الأمر بمراقبة الله -تعالى- بأن الله سميع عليم، بكل شيء عليم، بما تعملون بصير، قال -تعالى: { وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ } [الحجرات]، وقال -تعالى: {وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١} [البقرة]، وقال -تعالى: {وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٣٣} [البقرة].

ففي قوله -تعالى: { وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥} [العنكبوت]، يعلق عليها الإمام بن عطية بقوله: "وباقي الآية ضرب من التوعد والحث على المراقبة"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٨٠/٣٠.

(٢) المصدر السابق: ٢٤٧/٤.

(٣) تتمة أضواء البيان: ٥٦٥/٨. وفي تفسير المنار: ٣٢١/٤ تعليقًا على ختام الآية: "ثم التنبيه إلى مراقبة الله -تعالى".

(٤) المحرر الوجيز: ٣٢٠/٤. وينظر: تفسير القرطبي: ٣٤٩/١٣.

ويقول الإمام أبو حيان: "ما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم، وفيه وعيد وحث على المراقبة"(١).

ثالثًا: أهمية مراقبة الله -تعالى- على الفرد والمجتمع:

إن من يقرأ كتاب الله -تعالى- يجد أن الله -تعالى- أرشد إلى تعميق مراقبة الله -تعالى- عند أغلب الأحكام، والتشريعات، والمعاملات، والأخلاق، وقوائم حفظ المجتمع من جمع الكلمة، والاعتصام بالحق، وإقامة العدل، والوفاء بالعهود... إلخ، وكذلك يجد تعميق مراقبة الله -تعالى- عند اجتناب المهددات التي تؤدي إلى تقويض بناء المجتمع واستقراره، كالإفساد الديني، والإفساد الأمني، والإفساد المالي والاقتصادي، والإفساد الأسري، والإفساد الاجتماعي والأخلاقي، مما يدل على شدة الاهتمام والعناية بمراقبة الله ﷻ.

يقول أبو بكر بن العربي: "لم يتكرر لفظ في القرآن مثلما تكرر لفظ (التقوى)؛ اهتمامًا بشأنها"(٢).

ولأهمية مراقبة الله -تعالى- فإن من أوائل ما دعا به الأنبياء عليهم السلام قومهم تقوى الله -تعالى، ولنكتفِ بالإشارة إلى ما ورد في سورة الشعراء، ففي قصة موسى عليه السلام يقول الله ﷻ: {وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١}. وقال عن نوح عليه السلام: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٠٧ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٠٨ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٩ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١١٠}. وهكذا في قصة هود، وصالح، ولوط، وشعيب -عليهم السلام، فتكررت تقوى الله في قصص الأنبياء الستة المتقدمين (١٦) مرة؛ لبيان أهميتها.

ثم جاء القرآن كله دعوة إلى التقوى وهداية للمتقين، كما في مطلع القرآن الكريم: {الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢} [البقرة]، فتبين بهذا كله منزلة التقوى من التشريع الإسلامي وفي كل شريعة سماوية، فالتقوى دائمًا هي الدافع على كل خير،

(١) البحر المحيط: ١٥٠/٧.

(٢) نقله عنه ابن عاشور في: التحرير والتنوير: ٢٢٨/١.

الرادع عن كل شر[1]، "ولو قيل: إن الغاية من رسالة الإسلام كلها، بل من جميع الأديان هو تحصيل التقوى لما كان بعيدًا"[2].

وقد وردت عدة أحاديث وآثار تظهر أهمية المراقبة، ولنكتفي بثلاثة أحاديث وردت في الصحيحين:

الأول: حديث النفر الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، ومنهم: «**فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ، وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فَخَرَجُوا**»[3].

الثاني: حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**»[4].

الثالث: حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، ففسر ﷺ الإحسان بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[5].

إنَّ أي عمل لابد فيه من مراقبة الله –تعالى، فتقوى الله –تعالى– هي الرباط الجامع الذي يصل كل هذه الأمور بالله –سبحانه وتعالى، وأن تقواه مما يعين الإنسان على امتثال ما أمره الله –تعالى– به، فالتقوى جماع كل خير، وبها صلاح القلب، وأمن المجتمع، وبناؤه، واستقراره، وتحصينه.

---

(١) ينظر: تتمة أضواء البيان: ٨/٥٠– ٥١.

(٢) تتمة أضواء البيان: ٨/٤٩.

(٣) الحديث عن ابن عمر –رضي الله عنهما، صحيح البخاري: ٤/١٧٢ رقم (٣٤٦٥)، ٣/٧٩ رقم (٢٢١٥)، ٣/٩١ رقم (٢٢٧٢)، ٣/١٠٥ رقم (٢٣٣٣)، صحيح مسلم: ٤/٢٠٩٩ رقم (٢٧٤٣).

(٤) الحديث عن أبي هريرة، صحيح البخاري: ١/١٣٣ رقم (٦٦٠)، صحيح مسلم: ٢/٧١٥ رقم (١٠٣١).

(٥) الحديث عن أبي هريرة، صحيح البخاري: ١/١٩ رقم (٥٠)، صحيح مسلم: ١/٣٦ رقم (١).

المبحث الثاني

المراقبة وأثرها في بناء المجتمع

إن المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد الحث على تعميق مراقبة الله –تعالى– عند امتثال التشريعات والأحكام، كالتوحيد، والإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ، والإسلام، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والبر، والجهاد، والقصاص، والوصية، وحقوق النساء من الطلاق، والعدة، والصِّداق، والمتعة، وحسن العشرة، والرَّضاعة، والعدل بين الزوجات، والإصلاح بين الزوجين، وصلة الأرحام، والميراث، ومال اليتيم، وكذلك في أحكام المعاملات، كالمكاتبة في الدَّين، ورد الأمانة، والوفاء بالعهود والمواثيق، والعدل، وإصلاح ذات البين، وتحية السلام، والتعاون على البر والتقوى، والصدق، والصبر، وما ينطقه الإنسان، وأكل الطيبات، واللباس، وآداب البيوت، وفعل الخيرات، والتذكير بنعم الله، وأمر الساعة.

فمن خلال المراقبة عند امتثال هذه التشريعات يتحقق التوازن النفسي للفرد، وبالتالي تتكون الشخصية السوية الصالحة التي تسهم في بناء المجتمع واستقراره. وإليك بيان ذلك:

– ففي التوحيد يحث –سبحانه– على مراقبته، حيث قال: {يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢} [النحل]، أي: "فاحذروني بأداء فرائضي، وإفراد العبادة، وإخلاص الربوبية لي، فإن ذلك نجاتكم من الهلكة"(١).

– واقترنت تقوى الله ﷻ بالإيمان بالله ﷻ، وبالإيمان برسوله ﷺ، حيث قال ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [الحديد: ٢٨]، وقال –تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝١٠٣} [البقرة]، وقال: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٦٥} [المائدة]، وقال: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦].

---

(١) تفسير الطبري: ١٦٢/١٤.

– وفي الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ واتباع ما أنزل عليه ﷺ يحض سبحانه على المراقبة، فيقول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤} [الأنفال]، يقول الإمام بن عطية: "ومنها أن يقصد بقوله: {وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ} إعلامهم أن قدرة الله، وإحاطته، وعلمه والجة بين المرء وقلبه، حاصلة هناك، حائلة بينه وبين قلبه. قال القاضي أبو محمد: فكأن هذا المعنى يحض على المراقبة والخوف لله المطلع على الضمائر"(١).

وقال –تعالى: {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ } [الأنعام]، أي: فاتبعوا هذا القرآن الذي أنزلناه، واحذروا الله في أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه، وتتعدوا حدوده، وتستحلوا محارمه(٢).

واقترنت تقوى الله ﷻ ومراقبته بالدوام على الإسلام، حيث قال –سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢} [آل عمران]، أي: "يا معشر من صدق الله ورسوله {ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ}: خافوا الله وراقبوه بطاعته، واجتناب معاصيه. {حَقَّ تُقَاتِهِۦ}: حق خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى"(٣).

وجعل الله التقوى هي الغاية من العبادة، حيث قال ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١} [البقرة]، فأرشد عز ذكره الناس إلى عبادته رجاء أن يكونوا من المتقين، يقول الإمام البيضاوي: "{لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ}: حال من الضمير في {ٱعۡبُدُواْ}، كأنه قال: اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح، المستوجبين جوار الله –تعالى، نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين، وهو التبري من كل شيء سوى الله –تعالى– إلى الله، وأن العابد ينبغي أن

(١) تفسير ابن عطية: ٥١٤/٢. وينظر: البحر المحيط: ٤٧٦/٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥/١٠.

(٣) المصدر السابق: ٦٣٧/٥.

لا يغتر بعبادته، ويكون ذا خوف ورجاء، قال -تعالى: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}[السجدة: ١٦]، {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ} [الإسراء: ٥٧]"(١).

وحث -سبحانه- على مراقبته في شعيرة الصلاة، فقال: {وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾} [الأنعام]، ووصف المتقين في أول سورة البقرة بإقامة الصلاة، فقال: {ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾}. وقال في طه: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾}، فالمحافظة على إقامة الصلاة تعمق مراقبة الله -تعالى- في القلوب، كما قال: {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ} [العنكبوت: ٤٥].

وفي الزكاة يحث سبحانه على مراقبته، قال ﷻ:{وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾}[البقرة]. وقال: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ}[التوبة:١٨].

وجعل ﷻ التقوى هي الغاية من الصيام، فقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾} [البقرة]. واختتم آيات الصيام بالتقوى أيضًا، فقال: {تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾} [البقرة]. فالصيام ينمي ملكة المراقبة لله؛ ذلك أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله -تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، فالصوم عبادة سرية لا يطلع عليها أحد إلا الله، وقد يأكل ويشرب بدون أن يراه أحد، فإذا حافظ على صيامه بعيدًا عن أعين الناس أورثه ذلك تقوى الله -تعالى، بالمراقبة له، وتربية الإرادة على كبح جماع الشهوات؛ لأنه إذا انقادت نفس للامتناع عن الحلال؛ طمعًا في ثواب الله -تعالى، وخوفًا من عقابه، فأولى أن تنقاد للامتناع

(١) تفسير البيضاوي: ١/٥٤-٥٥.

عن الحرام، فكان الصيام سببًا لاتّقاء محارم الله، ورادعًا عن ارتكاب الفواحش، ومهونًا عليه لذات الدنيا ورئاستها، وذلك جامع لأسباب التقوى(١).

وجاء أمر التقوى مرتبطًا بشعيرة الحج في أكثر من موضع، فختمت آية: {وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ} بقوله: {وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾}[البقرة]، "لما تقدم أمر ونهي وواجب ناسب أن يختم ذلك بالأمر بالتقوى، في أن لا يتعدى ما حدّه الله –تعالى، ثم أكد الأمر بتحصيل التقوى بقوله: {وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾}؛ لأن من علم شدة العقاب على المخالفة كان حريصًا على تحصيل التقوى، إذ بها يأمن من العقاب"(٢).

وقال –سبحانه: {ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾}[البقرة]، وقال في ختام مناسك الحج: {وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾} [البقرة].

فأرشد في هذه الآيات إلى مراقبته، وأكد الأمر بذلك، ليلتزموا بما أمرهم به، فلا يعتدوا، "فإن تحصيل ملكة التقوى هي الغرض من الحج ومن كل عبادة، والوسيلة الكبرى إليها كثرة ذكر الله –تعالى– بالقلب مع اللسان، حتى يغلب على مراقبته في جميع الأحوال، فيكون عبدًا له، لا للأهواء والشهوات"(٣).

وفي شعائر الله يحث –سبحانه– على المراقبة، حيث قال: {ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾} [الحج]، "أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب، أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، والعائد إلى (مِنْ). أو فإن تعظيمها ناشئ

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤٠/٥، تفسير المنار: ١١٥/٢، تفسير السعدي: ص٨٦، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ٢١٩/١ و٢٥٢.

(٢) البحر المحيط: ٩٠/٢.

(٣) تفسير المنار: ١٩٤/٢–١٩٥.

من تقوى القلوب، وتخصيصها بالإضافة؛ لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء"(١).

وفي البِر يقول -سبحانه: {وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ} [البقرة: ١٨٩]، ثم بين من هم في قوله -تعالى: {وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾} [البقرة]. وتوسط الضمير في قوله: {وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ} "للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم"(٢).

وفي الجهاد يحث -سبحانه- على المراقبة، يقول ﷻ: {ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾}[البقرة]، "{وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ}: فلا تعتدوا على أحد، ولا تبغوا، ولا تظلموا في القصاص بأن تزيدوا في الإيذاء. وأكد الأمر بالتقوى بما بين من مزيتها وفائدتها، فقال: {وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ } بالمعونة والتأييد، فإن المتقي هو صاحب الحق، وبقاؤه هو الأصلح، والعاقبة له في كل ما ينازعه به الباطل؛ لأن من أصول التقوى اتقاء جميع أسباب الفشل والخذلان"(٣).

ومثل هذا قوله: {وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾} [التوبة]، وقوله: {قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾} [التوبة]، وقوله: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل]، وقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى

(١) تفسير أبي السعود: ١٠٦/٦. وينظر: الكشاف: ١٥٦/٣، تفسير الرازي: ٢٢٤/٢٣، تفسير البيضاوي: ٧١/٤.

(٢) تفسير أبي السعود: ١٩٤/١.

(٣) تفسير المنار: ١٧١/٢.

سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾} [المائدة]. وقوله: {لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾} [التوبة]، "وقوله: {وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾} شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين، وعدة لهم بأجزل الثواب"(١).

وقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾} [آل عمران]. يقول الإمام بن عاشور: "وأعقب هذا الأمر بالأمر بالتقوى؛ لأنها جماع الخيرات، وبها يرجى الفلاح"(٢).

وفي الأمر بالقصاص يرشد -سبحانه- إلى مراقبته، حيث قال: {وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ } [البقرة]، "{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }، أي: القصاص، فتكفون عن القتل، وتتقون القتل حذرًا من القصاص أو الانهماك في القتل، أو تتقون الله باجتناب معاصيه، أو تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به"(٣). يقول الإمام بن كثير: "لعلكم تنزجرون؛ فتتركون محارم الله ومآثمه، والتقوى: اسم جامع لفعل الطاعات، وترك المنكرات"(٤).

وفي الأمر بالوصية جعل المحافظة عليها والقيام بها من شعائر المتقين المراقبين لله -تعالى، فقال -سبحانه وتعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ } [البقرة]، "وخص المتقون بالذكر تشريفًا للرتبة ليتبادر الناس إليها... و{سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾} صفتان لا يخفى معهما شيء من جَنَف الموصين وتبديل المتعدين"(٥). فتتعمق مراقبة الله -تعالى- في قلوبهم.

---

(١) البحر المحيط: ٤٩/٥. وينظر: تفسير الرازي: ٨٢/٣، تفسير أبي السعود: ٧٠/٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠٩/٤.

(٣) البحر المحيط: ١٩/٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩٢/١.

(٥) المحرر الوجيز: ٢٤٨/١-٢٤٩. وينظر: البحر المحيط: ٢٦/٢.

ويحث -سبحانه- على أمر المراقبة في ثنايا الحديث عن حقوق النساء في أمور الطلاق، والعدة، والصِّداق، والمتعة، وحسن العشرة، والرضاعة، والعدل بين الزوجات، والإصلاح بين الزوجين، فشريعة الطلاق ارتبطت بأمر التقوى في أغلب الآيات، يقول ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ} [الطلاق: ١]، ثم قال في الآية بعدها: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} وفي الآية بعدها: {وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥}.

وهكذا نرى الحث على مراقبة الله بعد هذه الأحكام من أمور الطلاق في هذه الآيات، وقد علل الإمام أبو حيان سبب ذلك بقوله: "ولما كان الكلام في أمر المطلقات وأحكامهن من العدة وغيرها، وكن لا يطلقهن أزواجهن إلا عن بغض لهن وكراهة، جاء عقيب بعض الجمل الأمر بالتقوى من حيث المعنى، مبرزًا في صورة شرط وجزاء في قوله: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ}؛ إذ الزوج المطلق قد ينسب إلى مطلقته بعض ما يشينها به وينفر الخطاب عنها، ويوهم أنه إنما فارقها لأمر ظهر له منها، فلذلك تكرر قوله: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ } في العمل بما أنزله من هذه الأحكام، وحافظ على الحقوق الواجبة عليه من ترك الضرار والنفقة على المعتدات، وغير ذلك مما يلزمه، يرتب له تكفير السيئات وإعظام الأجر"(١).

وقال ﷻ: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١} [البقرة]،

(١) البحر المحيط: ٨/٢٨٠.

فبعد أن نهى -سبحانه وتعالى- عن مراجعة النساء لإرادة إلحاق الضرر بتطويل العدة، وذكرهم بنعم الله ﷻ، وأمرهم بمراقبته -سبحانه.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "وقوله: {وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣٣﴾}، وهو أبلغ في موضعه من كل ما تقدم من التأكيد والتشديد في حقوق النساء؛ لأن الإنسان قد يراعي الأحكام الظاهرة بقدر الإمكان بغير إخلاص، فيطبق العمل على الحكم على وجه يعلم أن من ورائه ضررًا، فهذه الجملة تذكره بأن الله -تعالى- لا يخفى عليه شيء مما يسره العبد أو يعلنه، فلا يرضيه إلا التزام حدوده والعمل بأحكامه، مع الإخلاص وحسن النية، حتى يكون ظاهره كباطنه في الخير، ولا يتم له ذلك إلا بمراقبة الله -تعالى- في عمله، والعلم اليقين بأنه مطلع عليه فيه، لا يبيت قولًا أو فعلًا، ولا ينوي خيرًا أو شرًا، ولا يطوف في ذهنه خاطر، ولا تختلج في قلبه خلجة إلا وهو -سبحانه- عالم بذلك ومطلع عليه، فلا طريق له إلى مرضاة ربه إلا بتطهير قلبه، وإخلاص نيته في معاملة زوجه وفي سائر المعاملات"(١).

ومن آيات الطلاق أيضًا التي أرشد فيها -سبحانه- إلى مراقبته قوله -عز ذكره: {وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾}، أي: "وإن صمموا القصد، وعزموا على عدم العود؛ فليراقبوا ربهم، فإن أرادوا إلحاق الضرر بالنساء فإن الله سميع لكل ما كان منهم، عليم بما يقع منهم من إيذاء ومضارة"(٢).

ويقول -سبحانه: {وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾} [البقرة]، فصرحت الآية بالنهي عن النكاح في العدة، ثم أرشدت إلى مراقبته ﷻ، "وابتدئ الخطاب بـ(اعلموا) لما أريد قطع هواجس التساهل والتأول في هذا الشأن، ليأتي الناس ما شرع الله لهم عن صفاء سريرة من كل دخل وحيلة"(٣).

---

(١) تفسير المنار: ٢/٣١٧-٣١٨.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ١/٢٨٧.

(٣) التحرير والتنوير: ٢/٤٥٦.

ويقول –سبحانه– في أمر الصداق عند الطلاق: {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾} [البقرة]، أي: "عفو بعضكم عن بعض أقرب إلى حصول معنى التقوى... ثم إنه –تعالى– ختم الآية بما يجري مجرى التهديد على العادة المعلومة، فقال: {إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾}"(١).

– وكذلك في حقوق المرأة المطلقة من المتعة يعقبها بالمراقبة، فيقول: {وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾}، "وظاهر {ٱلْمُتَّقِينَ} من يتصف بالتقوى التي هي أخص من اتقاء الشرك، وخصوا بالذكر تشريفًا لهم، أو لأنهم أكثر الناس وقوفًا ، وأسرعهم لامتثال أمر الله"(٢).

فـ"في اقتران التقوى بأمور الطلاق حكمة بالغة؛ ذلك أن النفوس تكون لينة سخية، فإذا حدث الطلاق أحضرت الأنفس الشح، وظنَّ كل امرئ بما عنده، وأنكر الرجل حق زوجته، وكفرت المرأة بعشرة زوجها، ولن يصلح اعوجاج النفوس إلا الاستقامة على منهج الله، وتقواه حق تقاه"(٣).

وفي حسن العشرة يحث –سبحانه– على مراقبته، فيقول: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ } [الأحزاب: ٣٧]، "وأمره بتقوى الله تابع للإشارة بإمساكها، أي: اتق الله في عشرتها، كما أمر الله، ولا تحد عن واجب حسن المعاشرة، أي: اتق الله بملاحظة قوله –تعالى: {فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ} [البقرة: ٢٢٩]"(٤).

وختمت آية أحكام الرضاعة بالأمر بمراقبته ﷻ، فقال: {وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾} [البقرة].

---

(١) تفسير الرازي: ٤٨١/٦.

(٢) البحر المحيط: ٢٥٥/٢.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: ٢٣٤/١.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٢/٢٢.

يقول ابن عاشور: "وقوله: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} تذييل للتخويف، والحث على مراقبة ما شرع الله، من غير محاولة ولا مكابدة"(١).

وفي العدل بين الزوجات يقول -سبحانه: {وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾} [النساء].

وفي الإصلاح بين الزوجين يقول -سبحانه: {وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾} [النساء].

وفي صلة الأرحام يرشد -سبحانه- إلى مراقبته ﷻ، فيقول: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾} [النساء]، "و(الرقيب): هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك، ومن هذا صفته فإنه يجب أن يخاف ويرجى، فبين -تعالى- أنه يعلم السر وأخفى"(٢).

وفي الميراث يحث -سبحانه- على المراقبة، قال -تعالى: {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾} [النساء]، "أي: أنه -تعالى- رقيب عليكم حاضر، يشهد تصرفكم في التركة وغيرها، فلا يحملنكم الطمع وحسد بعضكم لبعض الوارثين على أن يأكل من نصيبه شيئًا، سواء أكان ذكرًا أم أنثى، كبيرًا أم صغيرًا"(٣).

وفي مال اليتيم ينبه ﷻ في ولاة اليتامى وازع مراقبة الله -تعالى، فيقول: {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾} [النساء].

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٤٠/٢. وينظر: البحر المحيط: ٢٢٩/٢.

(٢) تفسير الرازي: ٤٨٢/٩. وينظر: تفسير القشيري: ٣١٢/١، تفسير ابن كثير: ٢٠٦/٢.

(٣) تفسير المنار: ٥٣/٥.

يقول الإمام بن عاشور: "وجاء قوله: {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦} تذييلًا لهذه الأحكام كلها؛ لأنها وصيَّات، وتحريضات، فوكَل الأمر فيها إلى مراقبة الله –تعالى. والحسيب: المحاسب"(١).

ويقول الإمام الرازي: "واعلم أن هذا وعيد لولي اليتيم وإعلام له أنه –تعالى– يعلم باطنه كما يعلم ظاهره؛ لئلا ينوي أو يعمل في ماله ما لا يحل، ويقوم بالأمانة التامة في ذلك إلى أن يصل إليه ماله، وهذا المقصود حاصل، سواء فسرنا الحسيب بالمحاسب، أو بالكافي"(٢).

ويقول –سبحانه: {وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ }[النساء: ٩]، "أمر للأوصياء بأن يخشوا الله –تعالى– ويتقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم، أو لمن حضر المريض من العواد عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم، أو يخشوا أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم، فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم"(٣). ويقول –سبحانه: { وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ۝١٢٧}[النساء].

وفي أحكام المعاملات، كالمكاتبة في الدَّين، ورد الأمانة يأمر ﷻ بمراقبته، حيث قال في آية الدَّين: {فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا }[البقرة: ٢٨٢]، فأرشد إلى التقوى؛ لأنها مانعة من بخس الحق.

وفي الوفاء برد الأمانة يقول –سبحانه: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ}[البقرة: ٢٨٣]، "أي: هذا المديون يجب أن يتقي الله، ولا يجحد؛ لأن الدائن لما عامله المعاملة الحسنة حيث عول على أمانته، ولم يطالبه بالوثائق من

(١) التحرير والتنوير: ٢٤٧/٤. وينظر: تفسير المنار: ٣٢١/٤، تتمة أضواء البيان: ٥٦٥/٨.
(٢) تفسير الرازي: ٥٠١/٩.
(٣) تفسير أبي السعود: ١٤٧/٢. وينظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٦-٤٥٣، تفسير ابن كثير: ٢٢٢/٢.

الكتابة، والإشهاد، والرهن، فينبغي لهذا المديون أن يتقي الله ويعامله بالمعاملة الحسنة في أن لا ينكر ذلك الحق"(١).

ويحث سبحانه على مراقبته عند الوفاء بالعهود والمواثيق، فيقول: {بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾} [آل عمران].

يقول الإمام الطبري: "وهذا إخبار من الله ﷻ عمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته"(٢).

وقال سبحانه: {إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾} [التوبة].

يقول الإمام أبو حيان: "وقوله: {يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾}، تنبيه على أنّ الوفاء بالعهد من التقوى"(٣).

وقال –تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾} [التوبة]، وقال –تعالى: {وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾} [الأنفال]، "وقوله: {وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾} تحذير للمسلمين لئلا يحملهم العطف على المسلمين على أن يقاتلوا قومًا بينهم وبينهم ميثاق، وفي هذا التحذير تنويه بشأن الوفاء بالعهد، وأنه لا ينفضه إلا أمر صريح في مخالفته"(٤).

وفي العدل يحث –سبحانه– على مراقبته، فيقول: {ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾} [المائدة]، ويقول: {وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾} [النساء].

---

(١) تفسير الرازي: ١٠١/٧.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٤/٥.

(٣) البحر المحيط: ١١/٥. وينظر: تفسير أبي السعود: ٤٢/٤، التحرير والتنوير: ١١٣/١٠.

(٤) التحرير والتنوير: ٨٧/١٠.

يقول الإمام الرازي: "وفيه دقيقة أخرى، وهي أنه -تعالى- لما أمر في هذه الآيات بالحكم على سبيل العدل وبأداء الأمانة قال: {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾}. أي: إذا حكمت بالعدل فهو سميع لكل المسموعات يسمع ذلك الحكم، وإن أديت الأمانة فهو بصير لكل المبصرات يبصر ذلك، ولا شك أن هذا أعظم أسباب الوعد للمطيع، وأعظم أسباب الوعيد للعاصي، وإليه الإشارة بقوله -عليه الصلاة والسلام: «**اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»"(١).

وفي إصلاح ذات البين يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾} [الحجرات]. أي: "واتقوا الله، فإنكم إن فعلتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف، والمسارعة إلى إماطة ما يفرط منه، وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم، واشتمال رأفته عليكم"(٢). ويقول -تعالى: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: ١]، يقول الإمام أبو حيان: "وأمرهم بالتقوى ليزول عنهم التخاصم ويصيروا متحابين في الله"(٣).

وفي رد تحية السلام يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾} [النساء]، "المعنى: أنه رقيب عليكم في مراعاة هذه الصلة بينكم بالتحية، وفيه تأكيد لأمر هذه الصلة بين الناس"(٤).

- وكذلك يحث على المراقبة في التعاون على البر والتقوى، فيقول: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾} [المائدة]، "أما الأمر بالتعاون على البر والتقوى فهو من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن؛ لأنه يوجب على الناس إيجابًا دينيًا أن يعين بعضهم بعضًا على كل عمل من

(١) تفسير الرازي: ١١١/١٠.
(٢) الكشاف: ٣٦٦/٤.
(٣) البحر المحيط: ٤٥٣/٤.
(٤) تفسير المنار: ٢٥٨/٥. وينظر: تفسير الرازي: ١٦٦/١٠.

أعمال البر التي تنفع الناس، أفرادًا وأقوامًا، في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم"(١).

وربط ﷻ بين الصدق والتقوى، فقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾} [التوبة]. أي: "يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده، وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة"(٢).

وأرشد -سبحانه- إلى مراقبته في الصبر، فقرنه بالتقوى، وأخبر بأنهما من الأمور المعزوم عليها، فقال: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾} [آل عمران]. وقال -تعالى: {إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾}[يوسف].

يقول الإمام الطبري: "إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ويصبر... فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه"(٣).

وفيما ينطق به الإنسان يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾} [ق]. أي: ملك يرقب قوله، ولهذا ربط الله ﷻ التقوى بالقول السديد، فقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾} [الأحزاب]، وقال: {فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾} [النساء].

وفي أكل الطيبات يأمر -سبحانه- بمراقبته، قال -تعالى: {وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾} [المائدة]. أي: "وخافوا أيها المؤمنون أن تعتدوا في حدوده، فتحلوا ما حرم عليكم، وتحرموا ما أحل لكم، واحذروه في ذلك أن تخالفوه؛ فينزل بكم سخطه، أو تستوجبوا به عقوبته"(٤).

---

(١) تفسير المنار: ١٠٨/٦.

(٢) تفسير الطبري: ٦٧/١٢.

(٣) المصدر السابق: ٣٢٨/١٣.

(٤) تفسير الطبري: ٦١٦/٨.

وقال –تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ}[الأنفال: ٦٩]، وقال: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾} [المائدة]، وقال: {قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾}[المائدة]، "وقوله –تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾} تنبيه إلى أن تقوى الله هي ملاك الأمر في الرقابة على تنفيذ أحكام الحلال والحرام، ووضع الحدود الفاصلة بين الطيب والخبيث؛ إذ كان ذلك أمانة بين العبد وربّه"(١).

وفي اللباس يحث –سبحانه وتعالى– على المراقبة، قال ﷻ: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: ٢٦]،.

قال أبو علي الفارسي: "والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به، وأقرب له إلى الله مما خلق له من اللباس والرياش الذي يتجمّل به"(٢)، فبين –سبحانه– أن التقوى التي هي زينة الباطن أفضل من اللباس الذي هو زينة الظاهر.

وفي آداب دخول البيوت يحث –سبحانه– على المراقبة، فيقول: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾} [البقرة].

وفي فعل الخيرات يحث ﷻ على مراقبته، فيقول: {وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾}[آل عمران]، فقوله: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾}: "بشارة للمتقين بجزيل الثواب، ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى"(٣).

---

(١) التفسير القرآني للقرآن للخطيب: ١٠٣٧/٣.

(٢) الحجة للقراء السبعة: ١٣/٤. وينظر: تفسير الرازي: ٢٢٢/١٤.

(٣) الكشاف: ٤٠٣/١، تفسير الرازي: ٣٣٥/٨. وينظر: تفسير البيضاوي: ٣٤/٢، البحر المحيط: ٣٩/٣.

ويقول سبحانه: {وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾}[البقرة]، ويقول: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾} [البقرة]، "وهذا خبر من الله –جل ثناؤه– للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير وشر، سرًا وعلانية، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء، فيجزيهم بالإحسان جزاءه وبالإساءة مثلها. وهذا الكلام وإن كان خرج مخرج الخبر، فإن فيه وعدًا ووعيدًا، وأمرًا وزجرًا؛ وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا في طاعته... وليحذروا معصيته..."(١).

وفي الحث على العمل للآخرة يأمر –سبحانه– بالتقوى، حيث يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾}، في هذه الآية الكريمة حث على تقوى الله في الجملة، واقترنت بالحث على النظر والتأمل فيما قدمت كل نفس لغد، وتكرر الأمر فيها بتقوى الله؛ مما يدل على شدة الاهتمام والعناية بتقوى الله، ويكون الأمر بتقوى الله أولًا بالنسبة لما مضى وسبق من عمل تقدم بالفعل، ويكون النظر بمعنى المحاسبة، فإذا ما نظر في الماضي وحاسب نفسه، وعلم ما كان من تقصير أو وقوع في محظور؛ جاءه الأمر الثاني بتقوى الله لما يستقبل من عمل جديد، ومراقبة الله –تعالى– عليه: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ }(٢). يقول الإمام القشيري: "والتقوى الثانية تقوى المراقبة والمحاسبة"(٣).

وفي التذكير بالنعم يحث –سبحانه– على مراقبته، قال –تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾} [المائدة]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ } [المائدة].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٢٧/٢.

(٢) تتمة أضواء البيان: ٤٩/٨، ٥٤ (بتصرف يسير).

(٣) تفسير القشيري: ٥٦٥/٣.

وفي أمر الساعة يحث -سبحانه- على مراقبته، قال -تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١} [الحج].

يقول الإمام البيضاوي: "علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة؛ ليتصوروها بعقولهم، ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى؛ فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى"(١).

(١) تفسير البيضاوي: ٦٤/٤. وينظر: تفسير أبي السعود: ٩١/٦.

المبحث الثالث

المراقبة وأثرها في تحصين المجتمع

لقد أرشد القرآن الكريم إلى تعميق مراقبة الله –تعالى– عند اجتناب المهددات التي تؤدي إلى تقويض بناء المجتمع واستقراره وتحصينه، **كالإفساد الديني:** (الإشراك، والحكم بخلاف أمر الله ورسوله ﷺ، والشراء بآيات الله ثمنًا قليلًا، وتبديل آيات الله، وطاعة الكافرين وموالاتهم، وتعلم السحر)، **والإفساد الأمني:** (الفرقة والاختلاف، والظلم، والإفساد في الأرض)، **والإفساد المالي والاقتصادي:** (إهلاك الحرث والنسل، والربا)، **والإفساد الأسري:** (ظلم النساء)، **والإفساد الاجتماعي والأخلاقي:** (التعاون على الإثم والعدوان، والتناجي بالإثم والعدوان، والجهر بالسوء، وكثرة الحلف، والمضارة بالكاتب والشهيد، وكتمان الشهادة، والظن، والتجسس، والغيبة)، وإليك بيان ذلك.

ففي الإشراك يأمر –سبحانه– بمراقبته والخوف من عذابه، قال –تعالى: {وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١} [النحل]، أي: "فإياي فاتقوا، وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكًا"(١).

وفي النهي عن الحكم بخلاف أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ يأمر سبحانه بمراقبته، فقال –عز ذكره: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١}. أي: "لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله"(٢).

يقول الإمام الزمخشري في تفسير الآية: "واتقوا الله، فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه"(٣).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤٦/١٤.

(٢) المصدر السابق: ٣٣٥/٢١.

(٣) الكشاف: ٣٥١/٤.

وفي الشراء بآيات الله ثمنًا قليلًا يقول -سبحانه: {وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾} [البقرة].

وفي من يبدل آيات الله يقول ﷻ: {سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ ءَايَةم بَيِّنَةم وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾}، فمن علم أن الله شديد العقاب على المخالفة، تصور أنه لابد من محاسبة ومساءلة؛ فتحصل دواعي مراقبة الله -تعالى، والخوف من عقابه.

وفي النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين فيما يعود بوهن في الدين يأمر سبحانه بتقواه، فيقول: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾} [الأحزاب]، "ناداه بالنبي، وأمره بالتقوى؛ تعظيمًا له، وتفخيمًا لشأن التقوى، والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعًا له عما نهى عنه بقوله: {وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ} فيما يعود بوهن في الدين"(١).

وكذلك في النهي عن موالاة الكفار يدعو ﷻ إلى مراقبته والحذر من مخالفته بموالاة أعدائه، فيقول: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾} [المائدة]، ويقول: {لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾} [آل عمران]، ويخبر بأنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال واللحظات وجميع الأوقات، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته، وألا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم؛ فإنه عالم بجميع أمورهم، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة(٢).

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢٢٤/٤. وينظر: تفسير أبي السعود: ٨٩/٧، التحرير والتنوير: ٢٥٠/٢١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣١/٢.

وفي تحريم تعلم السحر يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾} [البقرة]، أي: ولو أن الذين يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه آمنوا بالله ورسوله، واتقوا ربهم فخافوا عقابه، فأطاعوه بأداء فرائضه، وتجنبوا معاصيه؛ لكان جزاء الله إياهم وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه خيرًا لهم من السحر وما اكتسبوا به(١).

وفي النهي عن اتباع سبل الشيطان الذي يؤدي إلى الفرقة والاختلاف يرشد -سبحانه- إلى مراقبته، حيث قال: {وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [الأنعام]، "وجعل الرجاء للتقوى؛ لأن هذه السبيل تحتوي على ترك المحرمات، وتزيد بما تحتوي عليه من فعل الصالحات، فإذا اتبعها السالك فقد صار من المتقين. أي: الذين اتصفوا بالتقوى"(٢).

وفي التحذير من الظلم يحض -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾} [غافر]، يقول الإمام بن كثير: "وقوله: {يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾} يخبر -تعالى- عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها، وحقيرها، صغيرها، وكبيرها، دقيقها، ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه -تعالى- يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر"(٣).

وفي معرض الذم عن الإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل - الإفساد المالي- يرشد -سبحانه- إلى المراقبة، فيقول: {وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢/٣٧١، تفسير ابن كثير: ١/٣٦٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٨ أ/١٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٧/١٣٧.

جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾} [البقرة]، وقال -تعالى: {وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾} [الشعراء].

وفي تحريم الربا يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾}[البقرة]، فأمروا أولًا بتقوى الله قبل الأمر بترك الربا؛ لأن تقوى الله أصل كل شيء، فهي أصل الامتثال والاجتناب، فترك الربا من جملتها[١]، ويقول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾}.

يقول أبو حيان: "لما نهاهم عن أمر صعب عليهم فراقه وهو الربا أمر بتقوى الله؛ إذ هي الحاملة على مخالفة ما تعوده المرء مما نهي الشرع عنه"[٢].

وفي النهي عن ظلم النساء يرشد -سبحانه- إلى مراقبته، فيقول:{فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾}، "فذكّره -تعالى- بعلوه وكبريائه وقدرته عليه؛ ليتعظ، ويخشع، ويتقي الله فيها"[٣]، أي: "فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن سبيلًا وهن لكم مطيعات"[٤].

وفي التعاون على الإثم والعدوان يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾} [المائدة].

وفي التناجي بالإثم والعدوان يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾} [المجادلة].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٣٥١/٢، التحرير والتنوير: ٩٣/٣.

(٢) البحر المحيط: ٥٨/٣.

(٣) تفسير المنار: ٦٣/٥.

(٤) تفسير الطبري: ٧١٥/٦.

وفي الجهر بالسوء يرشد -سبحانه- إلى المراقبة، فيقول: {لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾} [النساء]، فقوله: {وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾} "تحذير من التعدي في الجهر المأذون فيه، يعني: فليتق الله، ولا يقل إلا الحق، ولا يقذف مستورًا بسوء، فإنه يصير عاصيًا لله بذلك، وهو -تعالى- سميع لما يقوله، عليم بما يضمره"(١).

وفي معرض ذم الله المكثرين للحلف يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾} [البقرة]، فقوله: {وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾}. "أي: سميع لما تلفظون به من الحلف وغيره، عليم بما يترتب على كثرة الحلف وبغيره من أعمالكم، فعليكم أن تراقبوه، وتتذكروا عند داعية كل قول وعمل أنه سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم..."(٢).

وفي المضارة بالكاتب أو الشهيد يحث -سبحانه- على المراقبة، فيقول: {وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾} [البقرة]، "أمر بالتقوى؛ لأنها ملاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق"(٣).

يقول الإمام أبو حيان: "{وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ}. أي: في ترك الضرار، أو في جميع أوامره ونواهيه. ولما كان قوله: {وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ} خطابًا على سبيل الوعيد أمر بتقوى الله؛ حتى لا يقع في الفسق"(٤).

- وفي كتمان الشهادة يقول -سبحانه: {وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۚ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ } [البقرة]، فقوله: {وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾} تهديد، "وهو تحذير من الإقدام على هذا الكتمان؛ لأن المكلف إذا علم

---

(١) تفسير الرازي: ٢٥٤/١١.

(٢) تفسير المنار: ٢٩١/٢. وينظر: تفسير أبي السعود: ٢٢٣/١-٢٢٤.

(٣) التحرير والتنوير: ١١٨/٣.

(٤) البحر المحيط: ٣٧٠/٢.

أنه لا يعزب عن علم الله ضمير قلبه كان خائفًا حذرًا من مخالفة أمر الله -تعالى، فإنه يعلم أنه -تعالى- يحاسبه على كل تلك الأفعال، ويجازيه عليها إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا"(١).

وفي النهي عن الظن والتجسس والغيبة يرشد -سبحانه- إلى المراقبة، حيث يقول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾} [الحجرات].

يقول الإمام بن عاشور: "{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾}، عطف على جمل الطلب السابقة، ابتداء من قوله: {ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ}، هذا كالتذييل لها؛ إذ أمر بالتقوى وهي جماع الاجتناب والامتثال، فمن كان سالمًا من التلبس بتلك المنهيات فالأمر بالتقوى يجنبه التلبس بشيء منها في المستقبل، ومن كان متلبسًا بها أو ببعضها فالأمر بالتقوى يجمع الأمر بالكف عما هو متلبس به منها"(٢).

(١) تفسير الرازي: ١٠٢/٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٥٧/٢٦.

المبحث الرابع

ثمرة مراقبة الله –تعالى

إن مراقبة الله –تعالى– تنتج ثمارًا وآثارًا كثيرة في الدنيا والآخرة، وإليك بعضها:

– معية الله للمتقين بنصره، ومعونته، وحفظه، وتأييده لهم، فمن حصَّل مراقبة الله كان أهلًا لأن ينصره الله على أعدائه، قال –تعالى: {فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤} [البقرة]، وقال: {وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦} [التوبة]، وقال: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨} [النحل]، "وجاء بلفظ: {مَعَ} الدالة على الصحبة والملازمة؛ حضًا على الناس بالتقوى دائمًا، إذ من كان الله معه فهو الغالب المنتصر"(١).

وقال –تعالى: {قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨} [الأعراف].

يقول الإمام الطبري: "والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه، فخافه باجتناب معاصيه وأدى فرائضه"(٢).

وقال –تعالى: {وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٣} [النمل]. وقال –تعالى: {وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨} [فصلت].

– مراقبة الله –تعالى– سبب التوسعة في الرزق، وحصول الأمن والسلامة، وتيسير الحاجات، وتفريج الكرب، والخلاص من المضايق، قال –تعالى: {وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ} [الأعراف: ٩٦]. أي: لوسعنا عليهم الخير، ويسرناه لهم من كل جانب، كما يحصل التيسير للأبواب المغلقة بفتح أبوابها(٣).

---

(١) البحر المحيط: ٧٨/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٧١/١٠.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٥٣/٣، فتح القدير: ٢٥٩/٢، تفسير الألوسي: ١١/٥.

ويقول الرازي: "بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة"(١).

وقال –تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ} [الطلاق]. أي: ومن يتق الله يجعل له مخرجًا مما عسى يقع في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق، ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب، ويرزقه من وجه لم يخطر بباله، ولم يكن في حسبانه(٢).

وقال –تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤}[الطلاق].

– مراقبة الله –تعالى– سبب فلاح المجتمع وفوزه في الدنيا والآخرة، قال –سبحانه: { وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٨٩} [البقرة]، فعلَّق التقوى برجاء الفلاح، وهو الظَّفَر بالبُغْية. أي: اتقوا الله؛ رجاء أن تفلحوا في أعمالكم، وتبلغوا غاية آمالكم، وتفوزوا بالمطلوب من الهدى والبر، فإن من اتقى الله – تعالى– تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه حسب تقواه(٣).

ومثل ذلك قوله –تعالى: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [آل عمران: ١٣٠، ٢٠٠]. وقوله: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠٠} [المائدة]، وقوله: {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢} [النور]، "فجمعت الآية أسباب الفوز في الآخرة، وأيضًا في الدنيا"(٤).

– عواقب الخير لمن اتقى الله وراقبه، قال –تعالى: {وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ۝١٣٢}.

---

(١) تفسير الرازي: ٣٢٢/١٤.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٢١/٥، تفسير أبي السعود: ٢٦١/٨، تفسير الألوسي: ٣٣٠/١٤، التحرير والتنوير: ٣١٢/٢٨.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٧٢/٢، تفسير الألوسي: ٤٧٠/١، تفسير المنار: ١٦٧/٢.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٧٦/١٨.

يقول ابن عاشور:" فالمعنى: أن التقوى تجيء في نهايتها عواقب خير"(١).

ويقول الشوكاني: "وفيه دليل على أن التقوى هي ملاك الأمر، وعليها تدور دوائر الخير"(٢).

- تقوى الله من شكر النعم، قال -تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾} [آل عمران]، وقال: {فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ} [الأنفال: ٦٩].

يقول ابن عاشور: "وذيل ذلك بالأمر بالتقوى؛ لأن التقوى شكر الله على ما أنعم من دفع العذاب عنهم"(٣).

- التقوى سبب إفاضة العلوم، فوعد الله لمن اتقاه وراقبه أن يعلمه، يقول ﷻ: {وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾} [البقرة]، فالتقدير كما قيل: واتقوا الله مضمونًا لكم التعليم والهداية، فإن من اتقى علمه الله(٤)، "ووعد بدوام ذلك؛ لأنه جيء فيه بالمضارع"(٥).

يقول الإمام بن كثير: "وقوله: {وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ}. أي: خافوه وراقبوه، واتبعوا أمره، واتركوا زجره. {وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ}، كقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا}[الأنفال: ٢٩]، وكقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ} [الحديد: ٢٨]"(٦).

- جعل الله المتقين أهلًا للانتفاع بالآيات، فخصهم بذلك دون غيرهم، فقال:{ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾} [البقرة]، وقال: {فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾} [البقرة]، وقال: {هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٤٣/١٦.

(٢) فتح القدير: ٤٦٥/٣.

(٣) التحرير والتنوير: ٧٩/١٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٣٧٠/٢-٣٧١، فتح القدير: ٣٤٨/١.

(٥) التحرير والتنوير: ١١٨/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٧٢٧/١.

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾}[آل عمران]، وقال: {وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾} [المائدة]، وقال: {وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾}[النور]، فخص الموعظة بالمتقين؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها، وإن كان الجميع يوعظ، ولكنها على غير المتقين عمى وحسرة(١).

- التقوى تحول دون النشر، وتمنع من بخس الحق، كقوله ﷻ: {وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا} [البقرة: ٢٨٢].

- التقوى تمنع من ضياع الأمانة، قال ﷻ: {وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ} [البقرة: ٢٨٣].

- التقوى تصلح الأعمال، قال -تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ} [الأحزاب: ٧١]، وقال -تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾}[المائدة].

- التقوى تدعو إلى الطهارة والعفة، كقوله ﷻ عن مريم في طهرها لما جاءها جبريل عليه السلام: {قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾} [مريم]، "تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه؛ لأن من كان لله تقيًا، فإنه يجتنب ذلك"(٢).

- وعد الله المتقين بالجنة والرضوان، والنجاة من النار، قال -تعالى: {مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ} [الرعد: ٣٥، محمد: ١٥]، وقال: {لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ}[آل عمران: ١٥]، وقال: {وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ } [آل عمران]، وقال: {إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾}

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٥٤٣/٣، ٣٧١/٩، ٣٧٠/١٢، ٣٧٨/٢٣، تفسير البيضاوي: ١٠٦/٤، البحر المحيط: ٦٧/٣، ٥١١/٣، ٤١٧/٦، تفسير أبي السعود: ٤٣/٣، أضواء البيان: ٥٣٦/٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤٨٧/١٥.

[القمر]. وقال: {تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾} [مريم]. وقال: {ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾} [مريم].

– وعد الله المتقين بالبشرى في الدنيا والآخرة، قال –تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾}[يونس]، وفسرت البشرى في الدنيا بالرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، وبالنصر والفتح، وبالثناء الحسن، والذكر الجميل، ومحبة الناس، وببشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة. وفسرت البشرى بالآخرة بتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة، وما يرون من بياض وجوهم، وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وما يقرؤون منها، وغير ذلك من البشارات(١).

– التقوى تصحب صاحبها ابتداء إلى أبواب الجنة، كما في قوله: {وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾} [الزمر].

– محبة الله للمتقين المراقبين له، يقول –سبحانه: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٤، ٧]، وقال: {بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾} [آل عمران]، وقال: {ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾} [المائدة].

يقول الإمام الطبري: "ثم خافوا الله، وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضًا، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك والإيمان به، ولم يغيروا، ولم يبدلوا، {ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ}، يقول: ثم خافوا الله، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان. وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم طلب رضاه وهربًا من عقابه"(٢).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤/٢٧٩–٢٨١، تفسير أبي السعود: ٤/١٦٠.

(٢) تفسير الطبري: ٨/٦٦٤.

وذهب أبو حيان وابن عاشور إلى أن المراد بالإحسان في الآية هو الإحسان الذي فسره النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

- رحمة الله بالمتقين، يقول -سبحانه: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾} [الحجرات].

يقول الإمام بن كثير: "{لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾}، وهذا تحقيق منه -تعالى- للرحمة لمن اتقاه"(٢).

وقال -تعالى: {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾} [الأنعام]، وقال: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾} [يس]، وقال: {أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾} [الأعراف]، وقال: {وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾} [الأعراف].

- لا خوف ولا حزن على من اتقى الله، وأصلح نفسه وعمله، قال -تعالى: {يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾} [الأعراف]، وقال -تعالى: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾} [يونس].

- التقوى تؤاخي بين أصحاب الجنة وتؤنسهم من كل خوف، وتجدد روابطهم فيما بينهم، كما في قوله ﷻ: {ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾} [الزخرف].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٩/٤، التحرير والتنوير: ٣٦/٧. والحديث في الصحيحين، وقد تقدم مرارًا.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٧.

– يكرم الله ﷻ من اتقاه وآمن برسوله ﷺ بكفلين من رحمته ﷻ، ونور، ومغفرة، وأجر، قال –سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨} [الحديد]، ومثل هذا قوله –تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ}[الأنفال: ٢٩]، وقوله: {وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥ } [المائدة]، وقوله: {فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩ } [آل عمران]، وقوله: {وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦} [محمد]، وقوله: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥} [الطلاق].

– المتصفون بالتقوى هم الأعلون في الدرجة والقدر يوم القيامة، يقول ﷻ: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ} [البقرة: ٢١٢].

يقول الإمام الرازي: "لم قال: {مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ}، ثم قال: {وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ}؟ الجواب: ليظهر به أن السعادة الكبرى لا تحصل إلا للمؤمن التقي، وليكون بعثًا للمؤمنين على التقوى"(١).

– المتصفون بالتقوى هم المكرمون والمفضلون عند الله –تعالى، قال ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ } [الحجرات].

– بمراقبة الله يحصل اتقاء عقوبة الله، قال –تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١} [البقرة]، أي: اعبدوه، وكونوا على رجاء التقوى؛ بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله –تعالى(٢). يقول الإمام الواحدي: "{لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١}: لكي تتقوا بعبادته عقوبته أن تحلَّ بكم"(٣).

---

(١) تفسير الرازي: ٣٦٩/٦.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: ٥٧/١، تفسير البغوي: ٧١/١.

(٣) الوجيز للواحدي: ص٩٥.

الخـاتمــة

وفي ختام هذا البحث أشير إلى أهم النتائج:

١- إن لفظ مراقبة الله -تعالى- يدخل في معاني: الإحسان، والتقوى، والخشية، والخوف.

٢- الإحسان لُبُّ المراقبة، وقد فسر النبي ﷺ الإحسان بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

٣- إن التعبد بمقتضى أسماء الله الحسنى وصفاته العلى: (الرقيب، الحفيظ، الحسيب، العليم، السميع، البصير، الشهيد)، يعمق معنى مراقبة الله -تعالى.

٤- من أوائل ما دعا به الأنبياء عليهم السلام قومهم الدعوة إلى مراقبة الله -تعالى.

٥- إن المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد الحث على تعميق مراقبة الله -تعالى- عند امتثال التشريعات، كالتوحيد، والإيمان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والقصاص، وأمور الزواج والطلاق، وصلة الأرحام، ومال اليتيم، والدَّين، والوفاء بالعهود والمواثيق، والعدل، والإصلاح، والتعاون. وهذا يدل على شدة العناية بمراقبة الله ﷻ، التي بها يكون أمن المجتمع، وبناؤه، وصلاحه.

٦- وكذلك يجد من يقرأ كتاب الله تعميق مراقبة الله -تعالى- عند اجتناب المهددات التي تؤدي إلى تقويض بناء المجتمع وتحصينه، كالإفساد الديني، والإفساد الأمني، والإفساد المالي والاقتصادي، والإفساد الأسري، والإفساد الاجتماعي والأخلاقي. وهذا تنبيه منه ﷻ لعباده على خوفه وخشيته، وألا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم؛ فإنه عالم بجميع أمورهم، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة.

٧- مراقبة الله -تعالى- لها ثمار وآثار كثيرة في الدنيا والآخرة، منها: معية الله بنصره، ومعونته، وحفظه، وتأييده للمتقين، وكذلك مراقبة الله -تعالى- سبب التوسعة في الرزق، وحصول الأمن والسلامة، وتيسير الحاجات، وتفريج الكرب، والخلاص من

المضايق، وسبب فلاح المجتمع وفوزه في الدنيا والآخرة، وصلاح الأعمال، وتحول دون الشر، وتمنع من ضياع الأمانة، وتدعو إلى الطهارة والعفة.

٨- جاء الإسلام ليزرع في نفوس أتباعه رقابة، وضميرًا يقظًا؛ ليصلوا بذلك إلى بناء مجتمع يسوده الأمن والاستقرار.

٩- الخلاصة: فمراقبة الله -تعالى- أساس متين لحفظ المجتمع، وذلك بإحساس المسلم بأن الله -تعالى- يعلم غيب السموات والأرض، ويبصر كل ما يفعله، وبهذا تستقيم المجتمعات، ويأمن الأفراد على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وهذا أجدى من وضع أجهزة للمراقبة وإشعار المراقبين بها.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة: ١٤٢٨هـ.

١. **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة- بيروت.

٢. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، وتتمته، لعطية محمد سالم، دار الفكر-بيروت: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣. **البحر المحيط**، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤. **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس: ١٩٨٤م.

٥. **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة - الرياض، ط٢: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦. **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧. **التفسير البسيط**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، حقق في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم نشرته: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض: ١٤٣٠هـ.

٨. **تفسير البغوي (معالم التنزيل)**، لمحيي الدين أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرين، دار طيبة - الرياض: ١٤٠٩هـ.

٩. **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٩١هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١: ١٤١٨هـ.
١٠. **تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)**، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
١١. **تفسير الرازي (مفاتيح الغيب–التفسير الكبير)**، لأبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣: ١٤٢٠هـ.
١٢. **تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان – الرياض، ط١: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٣. **تفسير السمعاني (تفسير القرآن)**، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن – الرياض، ط١: ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٤. **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر – القاهرة، ط١: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٥. **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي– القاهرة.
١٦. **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب– الرياض: ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

١٧. **تفسير القشيري = لطائف الإشارات**، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.

١٨. **تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)** لمحمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠م.

١٩. **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د/ مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي– جامعة الشارقة، ط١: ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٢٠. **تفسير مقاتل**، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: د/ عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت، ط١: ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٢١. **الحجة للقراء السبعة**، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث – دمشق، ط٢: ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٢٢. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٢٣. **سنن الترمذي**، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢: ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٢٤. **شرح صحيح مسلم**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦)، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط٢: ١٣٩٢هـ.

٢٥. **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)،

تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط١: ١٤٢٢هـ.

٢٦. **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٧. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الكلم الطيب – دمشق – بيروت، ط٢: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٨. **الفروق اللغوية**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة– القاهرة.

٢٩. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ.

٣٠. **لسان العرب**، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣: ١٤١٤هـ.

٣١. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٢. **مختار الصحاح**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥: ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

٣٣. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٣٤. **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر– بيروت: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٥. **الهداية إلى بلوغ النهاية**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية قامت بمراجعتها وطباعتها مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة الشارقة، ط١: ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣٦. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط١: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣٧. **الوصايا**، لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.